الفكرُ اللسانيّ

مجلّة علميّة محكّمة
في العلوم اللغويّة التراثيّة
واللسانيات الحديثة

مجلّة الفكرُ اللسانيّ - علميّة محكّمة - تصدر عن مخبر المباحث الدلالية واللسانيات الحاسوبية -**كليّة الآداب منوبة**

أكتوبر/تشرين الأول
2021

مخبر
«المباحث الدلاليّة واللّسانيات الحاسوبيّة»

أسّس سنة :2018

مجلة «الفكر اللسانيّ»

مـجــلّة علـميّة محكّمة ومتخصّصة

العدد الأوّل	أكتوبر 2021

كليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة 2040 تونس
الهاتف القارّ: 216.71.600.700 (المكتب 1073)

البريد الإلكتروني: alfikr.alissani@gmail.com

مقولة حروف الجرّ من خلال نظريّة بروندال : علائقية محضة مقولة

أسماء عاشور
باحثة في الدكتورا
كليّة الآداب والفنون الإنسانيات منوبة

ملخّص

نقدّم في هذا البحث موضوع «أقسام الكلام». ونطرح للنّظر مقولة الحرفيّة وما جاء من نظريّة علائقيّة عقلانيّة بنيويّة عند فيكو بروندال الدانماركيّ من خلال كتابه «نظريّة حروف الجرّ: مقدّمة في علم دلالة عقلانيّة» (1950).

« Théorie des prépositions Introduction à une sémantique rationnelle »

يقترح بروندال معالجة بنيويّة تقوم على عنصرين اثنين هما ما يسمّيه المستوى التّـرادفيّ أوّلا والمستوى الدّلاليّ ثانيا. تتحقّق أقسام الكلام كلّها على أساس مفهوم مجرّد هو العلاقة النّسبيّة التي يعبّر عنها القسم باعتباره معنى أحاديّا معياريّا ميدانه بنية التّركيب في إطار اللّغة نظاما علاميّا تدرس تطوّريّا اجتماعيّا وثقافيا.

فبين الخارج اللّغويّ والبنية الدّاخليّة تلازم وتعالق. فمقولة العلاقات ثوابت في مختلف أنواع الكلمات. يخصّص القسم بصفات محدّدة تفصله ويختلف

بها عن غيره من الكلم فالاسم شيء مستقلّ بنفسه والفعل زمان حادث متغيّر والحرف علاقة محضة.

احتلّت الحروف عامّة وحروف الجرّ خاصّة منزلة كبرى في كتابه. فصنّفها بمقياس العلاقات الشّكليّة الرّياضيّة والمنطقيّة المتّصلة بالمقولات الأرسطيّة حسب الأجناس والأعراض أو الجوهر والأعراض وبيّن برونداال أنّ العلاقات في باب الجرّ/ الإضافة ذات دلالات واحدة تتحقّق حسب متغيّرات وأعواض استعماليّة مختلفة.

لقد طرح قسم الحرف في «مقدّمة» برونداال عددا من القضايا الحديثة المشكلة الواقعة بين التّركيب والدّلالة «العلائقيّة» من داخل النّظريّة النّظاميّة.

يمكن أن نناقش آراء برونداال بمكتسبات النّظريّة النّحويّة العربيّة في نظام الحروف. فنظام الحرف لا اسميّ ولا فعليّ، بل علائقيّ إعرابيّ يختصر تجربة تواصليّة تامّة عاملها المتكلّم.

الكلمات المفاتيح: حروف الجرّ،حروف سوابق،علاقة،ترادفيّة،معنى،دلالة،حالة, إعرابيّة،عامل،معيار،نظام،استعمال،لغة تحتيّة،تناظر،ترابط،تعدية،تعالق،أنواع،أ جناس،عقلانيّة،تركيبيّة،نسبيّة،متعلّق،استرسال ،إلصاق،غاية،وعاء،استعلاء،امتد اد،نواة،تكراريّة،حوسبة...

Abstract

Prepositions: relational system of grammatical features (Introduction of V.Brondal(1950). We propose an explanation of prepositions as relational system with principles of structuralism in Brondal theory.The problematic study expose different trends and methodological choices to analyse the classes of prepositions. The parts of speech have to meet lexical, functional,semantic options and categorial classification.Fundamental features are casual and semantic which are derivational in the domain of phrase structure of the sentence and the normative use of different prepositions.The theory of Brondal is very actual to be tested and evaluated in Arabic and different grammars and languages .Computational approach based on syntactic and semantic features would be probable.

Keywords :Prepositions, adpositions, relation, syntax, semanticalk synonymy-system, sense, signification, sentence, substrat, symmetry, connexity, transitivity, norme-use, relator, rector , case, function, features, ablative, dative, genitive, accusativen, Nominative,relativity, localism, computation.

1 ـ مقدمّة

منذ القديم قسّم النّحاة العرب الكلم إلى ثلاثة أقسام اسم وفعل وحرف. وجاء الحرف في السطر الأوّل من كتاب سيبويه في قوله:»وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل»(الكتاب،1983،ج1،ص12).

واعتبر النّحاة أنّ الحرف مقولة/ أداة/ آلة/ واسطة وموضعا معنويا يختصّ بسمات تمييزية بالنظر إلى مقولة الاسميّة ومقولة الفعليّة.

لقد اصطلح على الحروف اصطلاحات مختلفة فهي سوابق ولواحق ودواخل. وهي حروف وسائل وضعت للمعاني والمواضع. واعتبرت قسما ثالثا من أقسام الكلام في النحو العربيّ وإن سميّ الحرف لانحرافه عن أخويه الاسم والفعل واختصاصه ب «غيريّة» معنويّة تركيبية ورابطية وانعقادية وتعدية ووصول وصفة في الاسم بعد وجوده أو واصل يضيف الفعل إلى الاسم.

وتطرح الحروف عامّة وحروف الجرّ خاصّة مشاكل نظريّة ومنهجية تتعلّق بالتصنيف والتحليل والتقييم.

2 ـ نظام حروف الجرّ وما يطرحه من مشاكل تصنيفية في اللسانيات والنظريات المختلفة

في النحو العربيّ مسائل مشكلة نذكر منها :

الحرف قسم أو مقولة ينافس الاسميّة والفعلية باعتباره دالا على العلاقة الإعرابية الدلالية.

-الحرف «ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل «في حدّ سيبويه.

-الحرف كلمة معناها في غيرها، وهو مبدأ النّحاة في معنى الحرف.

-الحرف كالجزء من الفعل تارّة، وكالجزء من الاسم تارّة أخرى يمتزج بهما.

-الحرف واسطة في تعدية الأفعال إلى المحلّ الاسميّ.

-الحرف أداة وآلة في العمل الإعرابيّ يمثّل حالة إعرابيّة.

-الحرف عامل أو غير عامل (عمل الجرّ والجزم والنّصب والرّفع).

-الحرف صفة في الاسم والفعل وأحادي المعنى فلا يفارقه.

-حروف الجرّ تكرار نواة في المعنى المضمر تشبه الفعل وتنوب عنه وتختصر الجملة.

-الحروف المشبهة بالأفعال والأسماء المشبهة بالحروف أدلّة تركيبية.

أمّا في اللسانيات الحديثة فنختصر الإشكاليات في التّالي:

-الحرف من الأدلة المؤشرة إلى الوظيفّة عند مارتيني

- الحرف لا اسم ولا فعل في المبادئ والمقاييس التوليديّة.

الحرف مركّب طوريّ في الحوسبة الاشتقاقيّة كما في البرنامج الأدنويّ والعلاقات الطورية (تشومسكي ،2000--2008 2012). Chmosky

- الحرف عنصر علائقي محض.

- الحرف رأس وظيفي.

- الحرف رأس معجميّ.

- الحرف مكوّن رأسيّ يوّزع الأدوار المحوريّة الدلاليّة/ علاقات فضائية.

هجينة بين بين أو وسطى انتقالية. (Mixte) -الحرف مقولة «مختلطة»

تلك من أهمّ القضايا المشكلة المطروحة في الحروف عامّة وحروف الجرّ خاصة ممّا أفدناه من خلال قراءتنا اللّسانية في دروس الإعراب والدلالة والمعجميّة والعرفانيّة المعتمدة على العلاقات التركيبيّة ونظام أقسام الكلام في بنية الجملة.

ونقترح في هذا الإطار خلاصة لنظرية بروندال في حروف الجرّ:

3.حروف الجرّ من خلال كتاب بروندال (1950) : علاقات شكليّة تركيبية دلالية

خصّ بروندال حروف الجرّ في كتابه بالتحليل والتفصيل استنادا إلى مفهوم العلاقات الشكلية الرياضية التي اعتمدها لوضع الحروف في مجال منهج بنيويّ محوره العلاقات الواقعة في الجملة وتراوح معاني الحروف بين ما تدل عليه نظاميا دلالة ثابتة وما تدل عليه استعماليا بمقارنة الحرف بالحرف في اللغة والاستعمال في اللغة الواحدة وفي اللغات المتقاربة كاللغات الهندية الأوروبية.

ويرى أنّ «نظرية حروف الجرّ» في هذا المنهج ليست مجرّد مقدمة لصناعة لسانيّة جديدة فحسب، بل تطرح أيضا مشاكل وحلولا تتّصل بالنظريّة اللغويّة وكذلك المنطق ونظريّة المعرفة. فمفاهيم العلاقات المخصوصة للمنطق الجديد (كالتّناظر والتّعدية والتّرابط) قابلة للاستعمال في التّحليل اللغويّ.

يلاحظ بروندال أنّ الكتاب من حيث علم الدلالة العامّ يسمح من جهة أولى ببيان تنوّع عدد من المفاهيم Sinn/Bedeutung، sens /signification الأساسية (كالنّفي والتّقابل) والتّعبير عن المفهوم المزدوج: معنى/ دلالة. بكلمة واحدة من جهة ثانية.

ومن أهمّ الفصول في كتاب بروندال نذكر فصلا بعنوان «حروف الجرّ باعتبارها قسما من الكلمات». ويشتمل هذا الفصل على أربعة أجزاء تحدّد منهجيّا موضوع هذه «النظريّة العقلانيّة» في حروف الجرّ. وتتّصل الأجزاء الأربعة بما يلي:

- تعريف حروف الجرّ.

- تحديدها: في الزيادة والسوابق والروابط النسقية العطفية: الحروف الحقيقية وغير الحقيقية.

- نظام الحروف الجارّة ومقارنتها بغيرها من الكلم في نطاق «ترادفية»بين اللغات المختلفة (Synonymique).

- منزلة حروف الجرّ في اللّغات ومفهوم العلاقات في الحروف في الهندية الأوروبية والمصرية

والعربية والعبرية.فلكلّ لفظ معنى واحد مهما تكن اختلافات اللغات.

– يفترض بروندال أنّ الأدوات وحروف الجرّ ينبغي أن تدرس أولا من زاوية نظر علم التركيب. ولا بدّ من الفصل فيها بين الوظيفة والبنية. فالقسم الواحد من الكلم يقوم بوظائف كثيرة تركيبية ممكنة. قد تكون الحروف عامة سوابق أو لواحق حسب تصنيف اللغات ومرتبة العناصر فيها: (Adpositions/Postpositions)

وتدرس حروف الجرّ ثانيا من زاوية صرفية ودرجة اختصاصها بهيئة واحدة وصورة لا تتغيّر (وهو البناء في المصطلح النحوي العربيّ)، بل قد تعدّ من صنف الحالات الإعرابيّة عند بعض النّحاة الايطاليين، وقد لا تكون العلامات التّصريفيّة والمقولات الصّرفيّة كافية لتعريف حروف الجرّ كالعدد والجنس والحالة الإعرابية.

وأكّد بروندال في فصل آخر من فصول كتابه المعنون بـ «النظرية» على أهميّة العلاقات في حروف الجرّ حيث استقلال نظامها وسماتها المميّزة لدلالة الكلم. وذكر في تعريف حروف الجرّمن جهة المعنى ثلاث زوايا نظر هي:

« 1 » Of –الذّهاب إلى أنّ حروف الجرّ لا تعريف لها أو ليست ذات قيمة فكرية كما في الدالة على معان غير محدّدة وغير ملموسة أو هي لا تدلّ إلا على «رائحة» العلاقة.

2 –افتراض أنّ حرفين قد يعرّفان تعريفا واحدا بطريقة متطابقة مترادفة.

3 –اعتبار الحرفين في بعض الاستعمالات دالين على معنى واحد أو يستعملان بطريقة مختلفة: حدّ حرف الجرّ بالشيء الذي يرتبط به أو بحيّزه للتّعبير عن المكان، أو الزّمان، أو الهدف والآلة وغيرها، أو باعتماد مظهرا أسلوبيّا محضا للفرق بين بعض العبارات (Croire **au** diable/**en** Dieu) في حرفين .

–يحتلّ مفهوم العلاقات التي تحقّقها حروف الجرّ منزلة كبرى في كتاب بروندال و«مقدّمته الدلالية العقلانية»، فقد ناقش المفهوم في الدّراسات المنطقيّة والفلسفيّة والرّياضيّة من النّاحية الشكليّة وسعى إلى تطبيقه في كتابه، فعرض دور العلاقة منذ أرسطو في معالجة القضية المتكوّنة من موضوع ومحمول، وما جاء في تصوّرات ديكارت وكانط وليبنتز وروسل وآينشتاين.

واختار من العلاقات التي سيوظّفها في دراسته لحروف الجرّ-في اللغات الهندية الأوروبية على وجه الخصوص ثلاثة أنواع هي:

تناظر -Symétrie

تعدية -Transitivité

ترابط -Connexité

وطبّقها في حروف الجرّ في عدد من اللغات الهندية الأوروبية / of, to, in à, de من.قبيل :

ويمكن في مجال التثبت والتطبيق بين الترادفية والدلالية والتلازم بينهما في معالجة حروف الجرّ أن نقدّم نماذج نختارها من حروف الجرّ في العربية:

الإلصاق الاختلاط = علاقة -ما يعالج به أو الآلة أو الوسيلة= معنى حرف الباء لا يفارقها: ب←

مِنْ← ابتداء الغاية في الأماكن وهي نقيض /إلى/ الدالة على انتهاء الغاية وتفيد / من/ معنى التبعيض:

في مثل: هذا من الثوب

وترد في موضع توكيد واستغراق.

نذكر مثالا على ذلك: ما أتاني من أحد

مُذْ، منذ،إلى، **حتّى**← الفضاء والامتداد والغاية

-عن ← يحدد معناها في «ما عدا الشيء» في مثل:

أطعمه عن جوع

وتفيد/ عن/ معنى المجاوزة.

-على← الاستعلاء

في ← الوعاء والظرفية-

حاصل وآفاق:نحو علائقيّة دلاليّة قابلة للحوسبة.3

تحتلّ حروف الجرّ منزلة تسترعي النّظر في الدّرس النّحوي قديما وحديثا. فهي من بين حروف المعاني العاملة إعرابيّا وقسم من أقسام الكلام الثلاثة في النّحو العربيّ، وتطرح إشكاليات مختلفة تتعلّق بتحديدها وتصنيفها ومعايير تحقيقها للدلالات النّحويّة والمعاني السياقيّة والمقاميّة.

اخترنا لدراسة حروف الجرّاتّجاها من النظريّة البنيويّة الدانماركيّة اشتهر باستقلاله بهذا النّوع من الحروف ومعالجتها من زاوية نظر لسانية تقوم على مبادئ عامّة في حلقة كوبنهاجن. اقترح بروندال أحد مؤسّسي الحلقة مع يالمسلاف «نظرية في حروف الجرّ» أرضيتها مقاربة دلاليّة عقلانيّة، أساس هذه الوجهة العقلانيّة نظام العلاقات الاختلافيّة بين العلامات في بنية الجملة وبيان خصائص حروف الجرّ ودرجات دلالتها على مفاهيم علائقيّة ومفاهيم منطقيّة مقوليّة عامّة يمكن أن توجد في غير قسم الحروف.

كوّن المنطلق من قراءة كتاب في موضوع حروف الجرّ فوائد ذاتية وفوائد بحثية موضوعية، فمن الفوائد الذاتية أنّنا أفدنا من التعرّف على مؤلف بلغة أجنبية يذهب صاحبه مذهبا شكليّا منطقيّا ولسانيّا تركيبيّا دلاليّا في وقت واحد. فكشفنا عن بعض المفاهيم والمنطلقات والمعايير وتحليل أمثلة من حروف الجرّ في لغات متنوّعة لم نكن نعرف عن حروف الجرّ فيها شيئا مثل ما وجدناه في نظرية حروف الجرّ عند بروندال المرتبطة بالبحث عن ترادفيّة إعرابيّة تركيبيّة دلاليّة بين الألسن.

أمّا من الناحية الموضوعية إن صحت العبارة فقد قرأنا الكتاب وألفنا بين مضمونه وأبوابه وفقراته لمشكل العلاقات التي تعبّر عنها حروف الجرّ في بعدين من نظرية بروندال وهما النّظر في تعريف الحروف الجارّة وغيرها من الكلم في نظام ثابت اصطلح عليه بالترادفية واعتماد بعد ثان وهو علم دلالة «عقلانية» مجاله العلاقات التي تدخل فيها حروف الجرّ في سياق التركيب والجملة. وأفضت الدراسة العلمية الموضوعية إلى تحقيق محاولة في البحث اللغوي.

لقد ظهرت لنا من خلال الكتاب فوائد منهجية ونظرية من البنيوية السوسيرية من قبيل مفاهيم نظام العلاقات والتقابل والاختلاف وقيمة العلامة ودلالتها الآنيّة والزّمانيّة وأهمية كلام ولسان والجملة والوظيفة والسّمات التمييزيّة ودراسة

الظواهر العلاميّة في إطار نظام محايث يكتفي بنفسه لكنّه مع بروندال يعتمد التطوريّة الزّمانيّة والخارجيّة الثقافيّة والنّفسيّة المكوّنة لتاريخ اللّغة.

يمكن من وراء نظام حروف الجرّ دراسة مختلف أقسام الكلام والتراكيب والجمل والمعاني النّحويّة بمنهج متشابه، إذ ما يحقّقه حرف الجرّ يقارن بغيره من الحروف وبغيره من المقولات المعجميّة وأقسام الكلم كالاسم والفعل والصفة والظرف والأدوات العطفيّة. ذلك في لغات متعدّدة كما عند بروندال في حروف الجرّ، ولكن يمكن أن تعالج المسائل في اللغة الواحدة لبيان نظام علاقاتها التركيبيّة والدلاليّة.

فمن وراء مقترح بروندال لدراسة تقوم على نظام ثابت أصليّ يوجد في الألسن المختلفة أوّلا ومتغيّر معنوي يتعلّق بالسياق والكلام والاستعمال ثانيا وهو معيار قيمة العلامة المدروسة في البنيويّة، ويمكن ملاحظة اختيارات تجربة المتكلّم التواصليّة ومواقفه الخطابيّة التداوليّة.

فمفهوم العلاقات سواء أكانت شكليّة رياضيّة منطقيّة أو لغويّة محضة أساسيّ في الدراسة النحويّة لحروف الجرّ. فالحرف العامل الجارّ: معنى نحويّ تركيبي دلاليّ ويحمل الرّأس سمات متشابكة في شكل واحد خفيف لفظا/ ثقيل معنى. فالعلاقة بالتركيب يكشف عنهاّ فتولد علاقات متجدّدة ومفاهيم أو تصوّرات معنويّة عقليّة ذهنيّة هي مقولات عامّة للغة والفكر في أن واحد، وبين المقولات المنطقيّة النّحويّة خيط رفيع مسترسل يناقش في علوم النّحو، أو الرّياضيات أو المنطق أو الفلسفة أو الظواهراتيّة والسيميائيّة العامّة.

إنّ حروف الجرّ وغيرها من أقسام الكلام في نظر بروندال علائقيّة محضة، والمعنى الواحد عبارة عن علاقات نظاميّة ترادفيّة ودلاليّة سياقيّة. وتتكوّن العلاقة من معلّق ومتعلّق أو واصف وموصوف، ويتحقق ذلك في ترابط بين نوع القسم المقوليّ وهو حرف الجرّ وحالته الإعرابية التمييزيّة والعلاقة التركيبيّة داخل الجملة والوظائف النحويّة المتولّدة عن التّركيب. ذلك ما يكون في نظر بروندال نظرية تتلازم فيها هذه المستويات الثلاثة حسب مشروعه العقلانيّ القائم على النظام الواحد الثابت من ناحية أولى –Sémantique/ والدلالة/ Synonymique والدلالة السياقيّة من ناحية ثانية، وتترابط

فيهما الترادفيّة بأنواع من العلاقات الكثيرة وأنواع من المقولات الأجناسيّة المنطقيّة وهو يبحث عن تدقيق التفكير وبيان نشاط الذّهن وحركيته. « فالمفاهيم العلائقية تكيّف وضوح التفكير وتناغمه، والمفاهيم النوعية تكيّف ثراءه، وجدواه والعقلانيّة ترتهن دائما بتعاونهما المتناغم» حسب قوله.

لعلّنا نؤكّد في حدود كتاب بروندال أنّ مفهوم العلاقات إذا كان تطور في العلوم العامة حديثا قد يكون من خلال ما نعرفه وهو ناقص من علم النّحو عند العرب أساس كلّ دراسة تركيبيّة دلاليّة، كما نجد ذلك في أصول النحاة ومقاييسهم المعتمدة في دراسة حروف المعاني وحروف الجرّ ومختلف الظواهر اللغويّة وما يطرح في اتّجاهات لسانيّة مختلفة.

حاولنا بعض وجوه التقييم بما يوجد في النظريّة النحويّة العربيّة من أصول ومبادئ درس على أساسها نظام الحروف عامة ونظام حروف الجرّ خاصة. وذلك من حيث التعريف ومعايير التصنيف وظهور الترادف والاشتراك بين أنواع الحروف وأحكام الالتزام بمبدأ واضح هو: لكلّ حرف واحد معنى واحد لعلّه هو الوارد في كتاب سيبويه في قوله:» وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل».

نظرنا في موقع حروف الجرّ في بعض الدّراسات اللسانيّة البنيويّة في اتّجاهات توليديّة معجميّة دلاليّة في إطار إشكاليّة انتماء الحرف السّابق للاسم ومدى تكوينه لرأس ومخصّص أو رأس ومتمّم أو رأس إسناديّ ،وأكدنا أهميّة التمهيد لدراسة الرأسيّة الحرفيّة في العربيّة باعتماد المبادئ ومقاييسه وتأكيد ما تتميّز به نظريات النّحو العام في العربيّة واللسانيات الحديثة في معالجة الحروف العاملة ومدى توسّطها وامتزاجها بسمات سابقها أو لاحقها ممّا تتعلّق به لتوليد علاقات إعرابيّة دلاليّة متعالقة وطيف سمات واحد يجمع سابق الحرف الجارّ وخصائصه في نفسه باعتبارها «وسيطة» و«وصلة» بلفظ النّحاة وما يمكن أن يوزّعه من أدوار دلاليّة، ولاحق لا يكون إلا اسما موسوما بالجرّ لتكوين محلّ إعرابيّ واحد .هي ثلاثة أطراف تدخل في العلاقة عامل سابق وحرف عامل وسيط يتأرجح بين أوّل وثالث ومعمول لشدّة تعلّقه وتركّبه بالحرف الجارّ يؤلّف حالة إعرابيّة تركيبيّة وظيفيّة ودلالية هي حالة تجري نصبا ورفعا لتعود إلى عمدة أو فضلة.

فالرأس الجارّ إضافة وزيادة إلى الفاعليّة والمفعوليّة، وهما من معاني النحو الجامعة للمظهر العامليّ الإعرابيّ ولعدد من المعاني السياقيّة المقاميّة. قد يكون في ذلك كثافة التّعليق والنّظم في بتية التركيب حيّز العلاقات التركيبيّة الدلاليّة.

لقد درس النّحاة فيما طالعناه من مؤلّفاتهم نظام حروف الجرّ على أسس ومعايير تشابه ما قدمه بروندال من علاقات تحقّقها مختلف أقسام حروف الجرّ. فبين حروف الجرّ تناظر ومشابهات وعلاقة تعدية وترابط وترادف عبّر عنها النّحاة في ألفاظ وعبارات من قبيل «تكون بمعنى» و«لها موضع حرف» و«ترادف معنى» و«تنوب حرف» وتعوّض و«تتضمّن معنى» و«تكون في مكان» ،وفصّلوا في تصنيفهم معاني الحرف الواحد وإحصاء هذه المعاني في حروف الجرّ عندهم يوضّح علاقات الحمل على النّظير والنّقيض والموضع كما في «من» و«إلى» أو «منذ» و«مذ» و«حتّى» و«الباء» و«في» و«على» و«عن» ،بل إنّ تحليلهم للحرف الواحد وإمكانيات أن يكون بمعاني سائر أخواته من الحروف واضح التقاطع والتلازم .وفي ذلك قد يكون أهمّ المعاني الأساسيّة المستمدّة من العلاقات التركيبيّة الدلاليّة ، فالعلاقة بين حرف الجرّ العامل ومعموله المجرور علاقة نحويّة مجرّدة تشتّق منها مختلف العلاقات الجارية في نظلم واحد يلازم حروف الجرّ ولغة واحدة العربية من غير الخروج إلى وجوه المقارنة بين اللغات الكثيرة والمقارنة بينها.

فمن علاقة عاملية محضة بين الجار ومجروره تتولّد فيما يظهر بقية المعاني، وبهذا يؤكّد مبدأ بروندال في الذهاب إلى أن كلّ معنى إنّما هو علاقة شاملة جامعة لمعان كثيرة. والعلاقة هي المعنى، ففي النظام الواحد علاقات خلافية تقابلية لها قيمة أصليّة وصور بديلة في السياق والمقام وتتحقق بذلك الفائدة في الكلام.

يمكن النّظر إلى حروف الجرّ من حيث دلالتها على معنى الفعل والاسم والصفة والظرف والنيابة عنها كونها تصوّر المعنى الأصلي الأوّل كالإلصاق في «الباء» أو ابتداء الغاية في «من» و«منذ» و«مذ» وانتهائها في «إلى» و«حتّى» والاستعلاء في «على» والمجاوزة في «عن» والاستحقاق والملك في «اللام» أن نجد ما تحدث عنه بروندال من المعنى الترادفيّ النّظاميّ الثابت في سائر الحروف.

فحرف الجرّ «الباء» دالّ على الإلصاق والامتزاج والاختلاط، وهي أسماء أحداث وأفعال تؤخذ منها. فلكلّ حرف حرّ مشتقّه الاسميّ والفعليّ، بل الظرفيّ. وقد حلّل النّحاة هذا المظهر «الترادفيّ» في مصطلح بروندال. فالإلصاق جار في الباء ومنها التصق ملتصق وفي «من» ابتدأ مبتدأ وفي «إلى» انتهى منته و«في» دالّة على استقرّ أو مستقرّ أو كائن وغير ذلك.

تبيّن حروف قيل فيها هي حروف أو أفعال أو أسماء مثل «على» أو «عدا» و«حاشا» و«خلا» هذا الاسترسال للمعنى الواحد في أقسام كلم مختلفة. ويتوضّح ذلك في العلاقة بين حروف الجرّ وظروف المكان والزّمان مثل «فوق» و«تحت» و«أمام» و«قبل» و«بعد» وغيرها من الكلمات المشابهة في المعنى الواحد لحروف الجرّ، فبين الحرف والفعل والصّفة والظرف وجوه من التّناظر والتّرابط والتّناقض والانتماء إلى دلالات نحويّة محوريّة يستوعبها النظام اللغوي في منطق تفكير بروندال وبحسب تأويلنا إن صحّ التأويل وذلك ما أكّده في نظريّته. فمن وراء حروف الجرّ مزايا منهجية ونظرية تتجاوزها إلى دراسة غيرها من أقسام الكلم.

فهل تكون لحروف الجرّ خصائص دلاليّة معنويّة تتكرّر في غيرها وهي ليست باسم ولا فعل. ألا تكون أصل الاشتقاق؟ فالعلاقات النظاميّة في بنيويّة بروندال تسمح بالحديث عن نظام ترادفيّ ثابت له استعمالاته البديلة في التركيب والاستعمال المقاميّ. ويقع ذلك بين أبنية نظاميّة وزمانيّة تطوريّة في شبه تلازم أو تعالق بين الداخليّ والخارجيّ في حركة متواصلة اعتبرتها البنيويّة تدور منتظمة في سيميائيّة عامّة بين علوم الصّرف والإعراب والدلالة والبلاغة والمعجميّة والأسلوبيّة مثل ما ذهب إليه سوسير وسطّره في البنيويّة العامّة.

رأينا أن حروف الجرّ يمكن أن تجري في علاقات دلاليّة «محلّيّة» دالّة على أبعاد فضائيّة كالمنفّذ والظرفيّة والاستفادة والآلة والممنوح والامتداد، ولاحظنا إمكان افتراض كونها كأّها دالّة على مقولة واحدة تحقّقها الحروف، فتكون مجموعات للإلصاق أو الابتداء في الغاية أو الوعاء أو الانتقال، ولكلّ شبه حقل دلالي معيّن يتقاطع مع غيره من الحقول الممكنة.

تجري أيضا في بنية التركيب أدلّة تؤشّر للوظائف النّحويّة، وهي «صرافم» / لفاظم غير حرّة تحدّد المحلّات الاسميّة وتحتاج إلى ما تكونه من مركّبات

وظيفيّة متنوّعة. وكأنّ لكلّ حرف جرّ 18 حرفا في العربية- دلالة تركيبيّة وعدد الوظائف بعدد هذه الحروف.

فليست حروف الجرّ «هجينة» ولا خارجة عن النظام و«لا لون» أو «رائحة لها» أو هي «فارغة» من المعنى،بل لها معنى في غيرها ليس باسم ولا فعل أو معنى علائقيّ محض داخل النظام الثابت وداخل النظام الدلاليّ المتغيّر بتغيّر السّياق والمقام ،ويتوضّح كلّ ذلك بالعلم بالعلاقات أي المعاني النّحويّة التي تعبّر عنها حروف الجرّ. إذ هي تقع بين الفعليّة والاسميّة محايدة لكنّها كثيفة الدلالات المحكومة بخصائصها التركيبيّة والدلاليّة والمعجميّة الجارية في الأبنية النّحويّة محكومة بالعامل الحقيقيّ أي المتكلّم المخصّص للمعاني.

إنّ حروف الجرّ رأس يخصّص ما قبله من العوامل ويخصّص ما بعده من المعمول، وهو صفة لاحقة بالفعل تارة وسابقة للاسم تارة أخرى كما جاء عند النّحاة. وتندرج الرأسية فيما توفرّه من سمات تولّد المعاني أي العلاقات النّحويّة القائمة على منطق النظام اللغويّ العلاميّ، لا المنطق المنطقيّ الفلسفيّ الرياضيّ. فيمتزج بسابق ولاحق لتكوين العلاقات النّحويّة.

إذا كان حرف الجرّ ينوب عن الفعل والفاعل أي الجملة معنى فهو مشبّع مثقل بالمعاني والعلاقات النظاميّة المقاميّة لكثرة مقتضياته ولوازمه ومتعلّقاته كما يقول النّحاة. هذا الخفيف لفظا والثقيل علاقات معنويّة رأس لا معنى له إلا في غيره. لعلّ وجوه الالتقاء بينن نظريّة بروندال «العقلانيّة» والنظريّة النّحويّة العربيّة والنّظريات اللسانيّة الرّاهنة تدفعنا إلى محاولة دراسات تختبر فيها علائقيّة الرّأس الحرفيّ وتشعّب صفاته وخصائصه التركيبيّة والمعجميّة والدلاليّة وغير ذلك مما ينجرّ عن جرّه أي وصله وربطه وتعليقه بغيره. لعلّها تلك منزلته وموضعه باعتباره علامة علائقيّة محضة.

تبقى المحاولة في حروف الجرّ من خلال نظريّة بروندال وجها من وجوه النسبيّة وخطوة في رسم ملامح طريق ممكنة في الدراسات اللغويّة النحوية العربية حسب تقاليد علميّة في قراءة لا تقطع بين الحديث والقديم. قد توضّح لنا دراسة حروف الجرّ، بل حروف المعاني كلّها في اصطلاح النّحاة العرب منزلة مقولة الحرفيّة انطلاقا من مثل هذا النّوع من النّظريات والمؤلّفات.

تكوّن حروف الجرّ في العربيّة نموذجا مثاليّا للعلاقات النظاميّة والمقاميّة بين الملكة والإنجاز. فهي حروف «صفات» أو علاقات تتعلّق بالفعل والاسم وتعمل عملا إعرابيّا ودلاليّا داخل التّركيب.

فعدد الحروف بعدد العلاقات أو عدد العلاقات غير نهائيّ في الاستعمال الذي تسمح به اللّغة، ويمكن تصنيفها في مجموعات لقبها الإلصاق والغاية والظرفيّة والتشبيه والمجاوزة كما يمكن أن نفترض أنّها تعبّر عن دلالة نحوية كبرى تسترسل فيها بدرجات مختلفة بين القوّة والخفّة. تقترن حروف الجرّ أو الإضافة بحالة إعرابية دلالية أساسية وتطرح حديثا إشكاليات لغوية متواصلة.

فالحروف عامّة وحروف الجرّ خاصة رؤوس تحتل صدارة المركبات في البنية التركيبيّة ولها حيّز وسطيّ بين الاسم والفعل وتغيّر المعاني. لعلّ حيادها ثراؤها النّحويّ.فهي تقوم على علائقيّة شكلنها النّحاة في الإعراب والعمل في النظام والاستعمال المتلازمين بحاجات المتكلّم العامل الحقيقيّ لمختلف المعاني التّواصليّة. وبهذا تكون نظرية حروف الجرّ باعتماد بروندال منطلقا لتجديد النّظر والمعالجة لقسم الحرفيّة بمعايير تتجدّد صياغتها لتنطبق على الاسميّة والفعليّة إذا اخترنا مفهوم العلاقات البنيويّة ومختلف بدائلها المقاميّة الدلاليّة في منظور تركيبيّ قابل للحوسبة ذهنياّ وآليّا على سبيل المثال.

المراجع

ـ المراجع العربيّة :

- سيبويه (ت 180 ه)، الكتاب. الجزء الأوّل والرابع،تحقيق وشرح عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت،1983.
- ابن جنّي (ت 392 ه) ،سرّ صناعة الإعراب، الجزء الأوّل ، تح لجنة من الأساتذة م. السقا، محمد الزفزاف، مصطفى، عبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم،مصر،1954.
- الخصائص ، 3 أجزاء، مصر، طبعة محمد علي النّجار،1955 .
- الجرجاني (ت 471 ه)، المقتصد في شرح الإيضاح، مجلّدان، تح بحر كاظم المرجان، دارالرشيد، العراق، 1982.

ـ المراجع الأعجميّة :

- Viggo ,B. (1950)، Théorie des Prépositions Introduction à une sémantique rationnelle, Traduction Française, P.N.E,Munksgaard,Copenhague.
- Chomsky, N. (1981), Lectures on Government and Binding.USA.
- Hjelmslev، L. (19351972/), la Catégorie des cas, Munchen
- Prolégomènes à une Théorie du Langage,(1971), Minuit ,Paris.
- Larsen, S. E. (1987)، Les Maillons du Langage, La sémantique rationnelle de Brondal : « Théorie des Prépositions » p p95,110, langages N°86.